الكراغلة في التاريخ الليبي الحديث والمعاصر

د فاتح رجب قدارة
كليه الآداب /جامعة الزاوية

مقدمة:

لم تكن الحقبة العثمانية في ليبيا و المنطقة المغاربية، مرحلة حكم عابرة، أو سيطرة خارجية زائلة، كما اعتقد البعض أو صورها، بل كانت امتداداً طبيعياً للدول الإسلامية الكبرى[1] ، رغم نشأت الدولة العثمانية جغرافيا خارج الوطن العربي، وقيامها علي عاتق العنصر التركي، إلا أن الدين الإسلامي كان العامل الأساسي في نشأت الإمارة، ومن بعد الدولة، أو السلطنة العثمانية المترامية الأطراف، ونتيجة لهذا البعد الديني الإسلامي، فإن تأثيرات الحقبة العثمانية في تاريخ، وحاضر العالم الإسلامي المنضوي تحت لوائها كبير، وفي مختلف مناحي الحياة السياسية، والاقتصادية، و الاجتماعية، لاسيما في تاريخ الولايات المغاربية (ليبيا، تونس، الجزائر)، وهذه التأثيرات أو الحضور العثماني (التركي) في تاريخنا الحديث و المعاصر، تعرض لحملات من التهميش، والأقصى المتعمد في سياسات الدول القطرية العربية، ورضخ كثير من المؤرخين والكتاب المعاصرين لمتطلبات هذا التوجه، ورؤية المرحلة في دراسة التاريخ الاجتماعي للمجتمعات العربية و تكويناتها التاريخية [2] .

ليبيا أو ((ولاية طرابلس الغرب))[3] العثمانية لم تكن حالة استثنائية، بل سارت سياساتها، وجهود مؤرخيها، علي المنوال ذاته في النصف الثاني من القرن العشرين، ومطلع الألفية الجديدة من خلال تبني الخطاب السياسي و التاريخي و الأطروحات العربية المشرقية، القائمة أساساً – في الأغلب الأعم – علي إحالة مشاكل التاريخ المعاصر، وإحباطات، ومختنقات ، وفشل الدولة القطرية الراهنة، إلي الحقبة العثمانية، أو التركية عند بعضهم – حيث اعتدنا في العقود الماضية علي قراءة مصطلح

---

(1) تركي بن عجلان الحارثي، الوجود العثماني في تونس في الفترة ما بين ١٢٤٦-١٢٩٨ هـ / ١٨٣٠ – ١٨٨١ م، مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، العلوم الإنسانية و الاجتماعية، الرياض، العدد الرابع رجب ١٤٢٨ هـ، ص ١٥

(2) إبراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦ – ١٩١٦ م، منشورات وزارة التعليم العالي و البحث العلمي العراقية، جامعة الموصل ١٩٨٦ م

(3) يرجع استخدام مصطلح (ليبيا) إلي عصور ما قبل الميلاد، فقد استخدمه الفراعنة المصريون للدلالة علي الأرض و الأقوام الذين يعيشون إلي الغرب منهم خاصة قبائل الليبو أو الريبو القبائل الليبية القديمة، فيما استخدم المؤرخون الإغريق مصطلح (ليبيا) للدلالة علي كل المناطق و الشعوب المعروفة لديهم في شمال إفريقيا حتى بداية العصر الروماني حين استخدم مصطلح المدن الثلاث(tripoly) الذي تحول إلي (تريبولتانيا the Tripolitania :) في العصر الروماني المتأخر، ومع بداية الفتح الإسلامي عرفت المنطقة الواقعة بين مصر في الشرق و تونس في الغرب بـ (طرابلس الإفريقية) في المصادر الجغرافية العربية الإسلامية، فيما أطلقت عليها المصادر التاريخية الأوروبية التعبير الجغرافي (طرابلس البربرية tripoli of barberia)، وأحياناً أسماء الأقاليم المكونة لهذة المنطقة (طرابلس، برقة، فزان)، و اختفي استخدام اسم (ليبيا) تماماً، وبعد السيطرة العثمانية سنة ١٥٥١ م أطلق العثمانيون علي هذه الولاية (طرابلس غرب) لتمييزها عن طرابلس الشام، واستمر استخدام هذا المصطلح جغرافيا وسياسياً حتي مطلع القرن العشرين، عند الاحتلال الإيطالي حيث نادي الكاتب الإيطالي (ف . مينوتيلي f.minutelli) باستخدام مصطلح (ليبيا) للدلالة علي هذه الولاية العثمانية، ولم يستخدم رسمياً للدلالة علي ليبيا بحدودها الحديثة إلا ابتداً من سنة ١٩٣٤ م . ينظر محمد مصطفي بازامة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، منشورات قورينا، بنغازي، ط٢، ١٩٧٥ م، ص ١١-٢١ .

العنصر التركي، أو الأتراك الطارئين علي المجتمعات العربية، أو طبقة الكراغلة " الكولوغليون " الحكام الفعليون للبلاد عند التعرض

للتاريخ الاجتماعي للبلد الليبية[1]، والمغاربية عموماً، من خلال تبني كثير من الدراسات الأكاديمية، وغير المتخصصة، مفاهيم ومصطلحات إثنية عرقية صادمة، كمدخل لدراسة المجتمع المحلي، وأفضيت بعض تلك الدراسات في توصيفاتها العرقية الإقصائية إلي هذا المكون، أو ذاك من مكونات المجتمع الليبي، واعتماد مبدأي الأغلبية و الأقلية في النظرة التاريخية و الراهنة للمجتمع[2]، وتسربت المفاهيم والمصطلحات ذاتها إلي المناهج الدراسية في المدرسة الليبية [3]، الأمر الذي أوجد أشبة بأزمة، أو مسألة مستدامة في تعريف المجتمع المحلي، وتحديد الهوية الوطنية الليبية، الأزمة التي نعتقد بأن المخرج الأساسي منها في دراسة المجتمع، وتشكيلات الاجتماعية التاريخية في العهد العثماني كمدخل ووسيلة مثالية لمعرفة خصائصه الأساسية المكونة للهوية الوطنية .

١) مبررات الدراسة:

إن حالة الأزمات و الكوارث المجتمعية القديمة، والراهنة في تقديرنا يرجع أحد أسبابها الرئيسة إلي حالة الجهل السياسي المتعمدة بالتاريخ الاجتماعي الليبي وخصوصيته التاريخية، تلك الخصوصية تعد من أبرز المبررات الموضوعية لهذة الدراسة التي تنصب علي أحد الجماعات، أو المكونات الأساسية للمجتمع الليبي المعاصر، في إطار مشروع طموح نسعي إليه لإعادة قراءة، وكتابة تاريخنا الوطني بموضوعية ومسؤولية، و بعيداً عن تأثيرات الرؤي و الأيدلوجيات السياسية السائدة[4]، إلي جانب قلة الدراسات و الكتابات التاريخية المحلية التي عالجت الجانب الاجتماعي الليبي أثناء الحقبة العثمانية، علي الرغم من طول تلك الحقبة وغناها بالأحداث المهمة، إلي جانب عزوف الباحثين المعاصرين علي الاقتراب من التاريخ الاجتماعي، والتشكيلات الاجتماعية نظرا إلي تلك " الحساسية المجتمعية " المفرطة تجاه هذا الجانب التاريخي و الحيوي في الواقع الليبي المعاش . بل الأدهي من ذلك حالة التماثل بين الدراسات الليبية، و الدراسات العربية لحديثة التي تبنت و اقتبست عدداً من التحليلات و الاجتهادات الواردة في الكتابات الليبية، التي لها ما يبررها قبلياً أو جهوياً، استندت عليها في تحليلها للتشكيلات الاجتماعية، لاسيما التوصيف العرقي اتجاها جماعات " قبائل " الكراغلة الليبية[5] ،وغير ذلك من المبررات الموضوعية التي تبرر قيام هذه الدراسة الأولية حول الكراغلة ودورهم " الإيجابي " في التاريخ الليبي الحديث و المعاصر كمحاولة فردية لفتح مجموعة من المناطق الحساسة و الغامضة في هذا التاريخ، وإثارة عدد من التساؤلات العلمية، والمنطقية

---

[1] سالم علي الحجاجي، ليبيا الجديدة، دراسة جغرافية، اجتماعية، اقتصادية و سياسية منشورات مجمع الفاتح للجامعات، طرابلس، ١٩٨٩ م، ١٣٢-١٣٣ .

[2] ينظر علي سبيل المثال : محمد أمحمد الطوير، مقاومة الشيخ غومة المحمودي للحكم العثماني في إيالة طرابلس الغربي ١٨٣٥-١٨٥٨، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ١٩٨٨، ص ٧٠ .

[3] مجموعة مؤلفين، التاريخ الليبي الحديث و المعاصر، منهج دراسي للمدارس الابتدائية الليبية، وزارة التربية و التعليم، طرابلس، ٢٠١٢ .

[4] فاتح رجب قدارة، فزان أثناء العهد العثماني الثاني ، دراسة وثائقية، أطروحة دكتوراه غير منشور قدمت لشعبة التاريخ بكلية الآداب و العلوم الإنسانية، فاس جامعة سيدي محمد بن عبد الله المملكة المغربية، ٢٠١١ .

[5] ياسين شهاب الموصلي، الأوضاع الاقتصادية في ولاية طرابلس الغرب، و متصرفيه بنغازي، ١٨٣٥ – ١٩١١ م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٦، ص ٢٤-٢٥ .

التي تتعلق بتشكيل الكراغلة الليبيين، ومدي موضوعية نسبتهم إلي الأتراك، أو أبناء الترك، كل ذلك شجعنا مع تزايد الجدل المجتمعي حول هذه الشريحة، أو المكون الليبي في المشهد الراهن، إلي جانب إجراء عدد من الدراسات المناظرة في الولايات المغاربية الأخري حول الكراغلة في تونس[1]، والجزائر[2].

٢) التعريف التقليدي لمنشأ الكراغلة :

شاع في الدراسات الغربية وكتابات الرحالة ذلك التعريف التقليدي لجماعة الكراغلة في الولايات المغاربية أثناء الحقبة العثمانية، التعريف الذي يختزل إعداداً كبيرة من سكان الحواضر المغاربية (الليبية، التونسية، الجزائرية)، بأنهم المنحدرين من آباء أتراك، ونساء محليات من الأهالي[3]، وتعددت صور التناول الغربية لهذا التعريف التقليدي، فالضابط السياسي الإيطالي (هنريكو دي أوغسطيني) صاحب الباع الطويل مع التاريخ الاجتماعي الليبي، يعرف الكراغلة، أو (القولوغلية) بأنهم نتيجة زواج قد تم بين جنود الانكشارية الذين كانوا قدموا إلي برقة و طرابلس من مناطق الدولة العثمانية المختلفة، سواء كانوا من آسيا أو أوروبا، وبين النساء الليبيات سواء كن عربيات، أو أمازيغيات، بالإضافة إلي الرقيق الأبيض الذين كان قد تم جلبه أثناء حروب الجهاد البحري (القرصنة) حيث امتزج فيما بعد مع العنصر المحلي من سكان ليبيا و تكون من أسلاف أولئك القوم ما يعرف بالقولوغلية[4]، وهذه المعالجة لا تستقيم مع حدث إنساني اجتماعي يصورها في ميكانيكية آلية يصعب التسليم بأن تكون هذه العملية قد جرت في غصون أقل من قرن من الزمان ؟

لا يختلف تعريف القنصل و المستشرق الفرنسي (شارل فيرو CHARLES FERAUD) في حولياته الليبية، عما أورده غيره من المؤرخين و المعنيين بالدراسات الليبية في شأن الكراغلة الليبيين، أثناء مرحلة التأسيس أو تشكل هذه الجماعة، علي الرغم من تميز تعريفه برصد حالة الاندماج، و الانصهار الكلي لهذه الجماعة في البوتقة الليبية التي أدت في نهاية المطاف بالكراغلة إلي أنهم لم يعد لهم من الصبغة التركية سوي الاسم فقط[5]، وهذا ما سوف نرجع إليه في المباحث اللاحقة، كما أن الباحث الإيطالي (رودلف ميكاكي) يسير في ذات الاتجاه التقليدي، ويقول إن اسم " قولوغلي " أطلق علي الأبناء الذين كانوا نتيجة زواج الانكشارية من النساء المحليات[6].

---

[1]توفيق البشروش، جمهورية الدايات في تونس ١٥٩١ — ١٦٧٥ م، منشورات مجموعة ايام الناس، تونس ١٩٩٢، ص ٤٦ — ٤٧.

[2]ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ٢٠٠٠، ص ٢٢٨ و مابعده .

[3]شارل أندي جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة : محمد مزالي، و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ط ٢، ١٩٨٣، ج ١ — ص ٣٣٨ .

[4]هنريكو دي أوغسطيني، سكان برقة، دراسة تاريخية و أثنوغرافية، ترجمة إبراهيم أحمد المهدي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٨، ص ٥٣ .

[5]شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة : محمد عبد الكريم الوافي، المنشأة العامة للنشر و التوزيع و الإعلام، طرابلس، ط ٢، ١٩٨٣، ص ٣٤٩ .

[6]رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، ترجمة : طه فوزي، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦١ م، ص ٧.

هذا التوصيف يقع في سياق الرؤية الاستعمارية الإيطالية، التي بذلت جهوداً مضنية لاختزال المجتمع الليبي في كونه خليطاً من أجناس متنافرة، ووافدة عجزت عن بناء دولة، و أن الحقبة العثمانية الحديثة لا تعدو أن تكون حقبة استعمارية، هذا الاختزال يهدف إلي تهيئة الأذهان لقبول الطرح الاستعماري الإيطالي القائل بأنه جاء لإنقاذ ليبيا من الحالة المتردية التي يعيشها الليبيون تحت الإدارة العثمانية المباشر[1]، يدعمها في هذا الاتجاه عدد من الدراسات، وكتابات الرحالين الغربيين الذين وفدوا إلي ليبيا في القرن التاسع عشر، وركزوا بشكل ملفت علي النظر إلي المجتمع و التشكيلات السكانية في الحواضر، والأرياف، والواحات، والصحاري الليبية، التي نلمس من خلالها محاولات جدية، و عنيفة لإيجاد شكل من أشكال " الفرز " العرقي الفظ لسكان ليبيا، وتجاهل أي شكل من أشكال، أو أنماط التعايش الحضاري الاجتماعي، و التمازج داخل المجتمع، الذي أفرز بيئة اجتماعية ليبية واضحة المعالم[2]، حالة التمازج تلك التي لا ترفض، أو تتجاهل حالة التنوع التاريخي لمكونات المجتمع الليبي من أمازيغ، و عرب . وطوارق، وزنوج، وتبو، وكراغلة . مكونات تعددت مرجعياتها العرقية، وظروف استقرارهم في البلاد، تبعا للتجربة التاريخية الليبية .

يزداد الغموض " المعرفي " أكثر عند تشريح مكونات الكراغلة الليبية بروية وهدوء، فنجد تكوينات وتشكيلات داخلية أكثر تعقيد، لاسيما عند الحديث عن الكراغلة من الشراكسة، الذين يشكلون جزءاً أساساً وفاعلاً من كراغلة الزاوية الغربية، ومصراتة[3]، وغريان[4]، الذين يرجعون بأصولهم إلي القفقاس جنوب روسيا القيصرية التي فرضت عليهم حرباً ظالمة، أجبرتهم علي الهجرة القسرية إلي استانبول وولايات الدولة العثمانية خلال عامي ١٧٩٢ – ١٧٩٣، ثم أعقبتها ملاحقات و نكبات للشراكسة المسلمين علي يد الروس، وكان تراجع الدولة العثمانية أمام المد الروسي، يدفع معه مجموعات من الشركس وغيرهم من الشعوب الإسلامية في جنوب روسيا، نحو المناطق العثمانية، حيث هجر حوالي مليون شركسي إلي استانبول بحسب بعض التقديرات[5]، ولم تنته هذه المآسي حتي نهاية القرن التاسع عشر لاسيما بالنسبة إلي الشراكسة و الشيشان، الذين هجروا هجرة جديدة إثر احتلال روسيا القيصرية لبلادهم عام ١٨٦٤، ووطنتهم السلطات العثمانية في شبه جزيرة الأناضول علي الحدود اليونانية، وفي رومانيا، وصربيا، خاصة في مناطق الحدود المتاخمة لروسيا، مما جعل قيصر روسيا يطلب من العثمانيين إعادة النظر في قرارها هذا، فاضطرت مجدداً لترحيلهم عن مناطق الحدود، إلي أماكن أبعد، لاسيما اتجاه بلاد الشام و شرق الأردن[6]، ولا نستبعد أن تكون ليبيا العثمانية قد استقبلت مجموعات من الشركس و الشيشان الذين استقروا في بيئات زراعية تتواءم ولو جزئياً مع حياتهم السابقة و انخرطوا في إطار الكراغلة الليبيين .

---

[1]فرانشسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني ، ترجمة : خليفة محمد التليسي، النشأة العامة للنشر والتوزيع و الإعلان، طرابلس، ط٢، ١٩٨٤.

[2]ينظر علي سبيل المثال : تيسير بن موسي، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ١٩٨٨ م .

[3]عمر محمد التومي الشيباني، تاريخ الثقافة و التعليم في ليبيا، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ٢٠٠١، ص ٢٢٣ .

[4]الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، دار الفتح، ودار التراث العربي طرابلس، ط٣، ص ١٧٣ .

[5]أحمد إسماعيل، تاريخ حرب القفقاس ونتائجها من أحداث ومظالم، مطبعة جوهر الشام، دمشق ١٩٩٥ م، ص ٢٥-٢٧ .

[6]عليان عبد الفتاح الجالودي، قضاء عجلون ١٨٦٤ – ١٩١٨، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٩٤ م، ص ١٦٤ .

٣) المؤرخون الليبيون و الكراغلة :

تتعدد الإشكاليات التي تطرحها هذه الدراسة، ويتبع ذلك عدد من التحفظات التي يثيرها، لاسيما إذا تعلق الأمر بقراءة استطلاعية ناقدة لعدد من الآراء و التعليقات التي انتهي إليها بعض المؤرخين الأكاديميين الليبيين، والمهتمين بالدراسات التاريخية في شأن الكراغلة الليبيين، حفزنا لذلك تعدد الرؤي، والاجتهادات التي نجدها في بعض تلك الدراسات التاريخية، خاصة المواقف والآراء الجهوية، وأحياناً نجد بعض المؤرخين أقرب للنسابة القبليين في التعاطي مع المسائل و القضايا الوطنية الليبية، وقد تفهم مقاصدها فهماً خاطئاً لم يقصده مدونه، ويعبر في أحيان أخري عن حالة من حالات التجاذبات المناطقية، وتوزيع الأتهامات، و المواقع التاريخية، في إطار اللحظة التاريخية الراهنة، و الظرفية المحيطة بالمؤرخ المدون للحدث بين المؤرخين الليبيين المعاصرين .

يعد الشيخ الطاهر الزاوي (١٨٩٠ – ١٩٨٣) من أوائل المؤرخين " الفقهاء " الذين اهتموا بالتأريخ لجماعات أو قبائل الكراغلة الليبيين في مؤلفاته وتحقيقاته التي أخذت في الصدور، و تطور الرؤية و المواقف، منذ عقد الأربعينيات من القرن العشرين، التي حملت عدداً من التناقضات الصارخة في كثير من الأحيان تجاه الكراغلة، و أعلامهم من مجاهدين، و علماء، وفاعلين في الحياة السياسية، و الاجتماعية الليبية .

دون الزاوي مؤرخاته، و تعليقاته علي تحقيقاته لمصادر التاريخ الليبي تحت تأثيرات اللحظة التاريخية التي عاصرها كشاهد عيان، منذ أواخر العهد العثماني، وبداية الغزو الاستعماري الإيطالي لليبيا سنة ١٩١١ م، لاسيما موقف الدولة العثمانية وحكومة حقي باشا السلبي من الاحتلال[1]، و انعكست حالة الإحباط علي كتاباته و آراءه تجاه الحقبة العثمانية عموماً في ليبيا [2]، وامتدت آراؤه تلك لتشمل الكراغلة الليبيين، بعدهم " **المولدون من آباء أتراك، وأمهات طرابلسيات، وتغلب عليهم النزعة التركية، لأنهم من سلالات الأتراك التي كانت تحكم طرابلس الغرب ومازال كثير منهم يحمل الأسماء التركية مثل الشركسة، جمع شركس، و الأغوات، جمع أغا** ..."[3]، وهذا الرأي يتناقض مع يورده في مكان آخر من كتابه و الذي يجعل من الكراغلة صفة وظيفة أمنية " **تطلق علي كل من ناصروا الحكومة**" (العثمانية)[4].

تختفي هذه الروح " العدائية " تماماً عند التأريخ لأبرز قيادات حركة الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي من قبائل الكراغلة الليبية، أمثال الشيخ الهادي كعبار الذي يصفه بقوله : " **هو من أعيان غريان وساداتها، وفي مقدمة النابهين و المثقفين فيها، و أصله من (الكول أوغلية) من شراكسة الزاوية ... كان قي مقدمة الأعيان الذين دعموا للجهاد وقاموا به . وكان معدوداً في طبقة المفكرين ممن يحترم الناس آراءهم و يقفون، عند حدود ما يرسمون**"[5]، وكذلك الحال عند تعرضه للشيخ رمضان السويحلي – القريب منه أثناء حركة الجهاد – نجده يثني عليه و يقول فيه: " **بطل مقدام، ومجاهد مخلص، و**

---

[1]عبد الحميد محمود الطرابلسي، نبذة من أعمال إيطاليا في طرابلس الغرب، القاهرة، د.ن.، د.ت، نشر هذا الكتيب للشيخ الزاوي تحت اسم مستعار خشية المخابرات الإيطالية مطلع الثلاثنيات من القرن العشرين، ص ٨ .

[2]فاتح رجب قداره، الدولة العثمانية في آثار الشيخ الطاهر الزاوي، الندوة العلمية الثانية حول الشيخ الطاهر الزاوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٦، ص ٤ .

[3]الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس ١٩٦٨، ص ١٥٤ .

[4]نفس المرجع، ص ١٥٥ .

[5]الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، مرجع سابق، ص ١٧٣-١٧٤ .

حاكم نزيه، وسيد من سادات طرابلس الذين خلد التاريخ ذكرهم بمداد من نور علي صفحات قلوب المخلصين المؤمنين"[1]، وفي هذا دليل واضح علي حالة التناقض تجاه الكراغلة بين التمجيد لرجالاتهم الذين أدو أدوارا بالغت الأهمية في التاريخ الليبي، و بين محاولات الفرز العرقي في مواضع أخري .

قد نجد للشيخ الطاهر الزاوي أعذارا في هذا التناقض لأسباب متعددة، أبرزها أنه فقيه أزهري، تبلورت رؤيته و أفكاره في أشد الفترات تباعداً بين العرب و الأتراك في الربع الأول من القرن العشرين، إضافة إلي أنه اعتمد في كتاباته علي المعاصرة و الرواية الشفاهية السائدة في عصره، وعدم احترافه للبحث التاريخي .

علي الجانب الآخر نجد عدداً من المؤرخين الليبيين المعاصرين من الذين تم تأطيرهم في المؤسسات الأكاديمية المحلية والأجنبية، يجتهدون بتقديم عدد من الآراء و الاجتهادات حول أصول الكراغلة الليبيين، فيما يشبه عملية فرز عرقي و بالقدر الذي يخرج المسألة من ميدان البحث التاريخي إلي المضمار القبلي، أو السياسي و صراعاتهما، و تجاذباتهم التاريخية و الراهنة. ووصلت ببعضهم إلي حد تنصيب نفسه موزعاً لصكوك الانتماء الوطني، خاصة أثناء الأزمات، والمنعطفات التاريخية الليبية، بهدف وضع الكراغلة الليبيين في زاوية (التغريب) كمحاولة للحد من دورهم السياسي، والاجتماعي الحيوي و المتصاعد في سيرورة الحدث الليبي في العصور الحديثة و المعاصرة، و هذه الكتابات تتصاعد في اللحظات التاريخية التي يغيب فيها المؤرخ عن مسؤولياته الوطنية، وإيمانه بالأبعاد الاجتماعية التاريخية للبناء الوطني الليبي، لاسيما حالة الحراك الاجتماعي المتغير عبر العصور منذ القرن الحادي عشر الميلادي وحتى مطلع القرن العشرين .

كما نجد فئة من المؤرخين المعاصرين " المحترفين " أو الذين تصدوا للكتابة التاريخية لسبب أو لأخر، يعمدون إلي أسلوب " **الترحيل التاريخي** " وتوزيع المسؤوليات التاريخية عن مساوئ الحقبة العثمانية إلي فئة بعينها من الليبيين، أو لحيز جغرافي محدد من الوطن بهدف بناء تلك الهالة الجهوية، أو العرقية الزاهية لمنطقته، أو إلي مرجعياته الاجتماعية، أو العرقية معينة، خاصة الكتابات التي دونت تحت ظلال الدكتاتورية الزائلة . وتحتم علينا مسؤولياتنا الوطنية عدم التعرض لتلك الكتابات التاريخية بالتفصيل في هذا المقام عدا بعض الإشارات للتدليل فقط .

يعد المؤرخ **عمر علي بن إسماعيل** من أوائل المؤرخين الأكاديميين الليبيين الذين أنجزوا أبحاثاً وثائقية مبكرة عن التاريخ الحديث، وهذا الجهد الذي أوصله إلي وصف الكراغلة الليبيين بـ " **العصر التركي، الذي يمثل السلطة الحاكمة في الولاية، وقد كون هذا العنصر طبقة اجتماعية منعزلة عن بقية سكان الولاية** "[2]، وهذا التوصيف العرقي يتعارض تماماً مع ما تورده جل المصادر التاريخية، بما فيها كتابات الرحاليين الأوروبيين الذين تجولوا في ليبيا في القرن التاسع عشر – ورصدوا بدقة الأوضاع الاجتماعية، ومنهم الرحالة الألماني (**هينريش فون ما لتسان**) سنة ١٨٦٩ م، الذي يورد الرواية التقليدية حول نشأة الكراغلة من نتاج الزواج المختلط بين الأتراك و العرب، ويعدهم يمثلون الدعامة الطبيعية، و الأكثر تجانساً للسلطات العثمانية مع الأهالي الليبيين، وكانت السلطات حذرة من تسلم الكراغلة الليبيين مراكز حساسة علي الرغم من أنهم "

---

(1) طاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ١٩٦١، ص ١١٥ .

(2) عمر علي بن إسماعيل، التطور السياسي و الاجتماعي في ليبيا ١٨٣٥ – ١٨٨٢، أطروحة دكتوراه غير منشورة، نوقشت بقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٢ ، ص ٨٨ .

مستعربون تماماً "[1]. ولعل في هذا ما يفسر حالة الصراع التقليدية بين الكراغلة المدعومين بتحالفاتهم القبلية الليبية والسلطات العثمانية و الحامية الانكشارية .

فعلي الرغم من أن الكراغلة جماعات حديثة النشأة، إلا أنهم كانوا أقرب العناصر إلي الأهالي المحليين مما أدي إلي تحالفهما ضد الانكشارية و السلطات العثمانية، و تأسيس الدولة القرمانلية سنة ١٧١١م[2]، وهو التحالف الذي يمكن قراءته في سياق تبلور الشعور الوطني، ونضوجه لدا الكراغلة الليبيين في مطلع القرن الثامن عشر، الذي كان فيه الشعور بالانتماء الديني هو السائد . لاسيما وأن حياة الكراغلة الاجتماعية و المعيشية لا تختلف أو تتضمن أي مظهر من مظاهر التميز العرقي الذي يتحدث عنه البعض بل كانوا " **يعيشون حسب طريقة العرب المستقرين {بالرغم } إن رجالهم من المخازنية أي الفرسان غير النظاميين ولذلك لا يؤدون الضرائب**"[3]، والرحالة في هذا المقام يحيلنا إلي قضية معقدة في التاريخ الليبي الحديث و المعاصر، و حتي الراهن، وهي قضية التناقضات التقليدية بين السكان الحضر – بين المستقرين، وسكان الأرياف و البوادي .

ويلخص لنا أحد المعنيين بالتاريخ الليبي حالة التناقض تلك و اختلاف الرؤي بين البيئات الليبية، في تعليق للباحث **حسن الهادي بن يونس** في معرض تقديمه ونقده لأحد المصادر التاريخية، و تعليل سبب ضعف ما يحتويه من مادة تاريخية عن المناطق البدوية الداخلية، بقوله : " **لم يكن في ميسور من يقيم في طرابلس علي معلومات دقيقة و تفصيلية عن أنساب القبائل في جنوب طرابلس الغرب، وكانت المعلومات التي أوردها { إسماعيل كمالي الكرغلي } عن الشريط الساحلي أقرب إلي الصواب، ذلك لأنها مناطق كانت علي وفاق مع الحكم التركي وفي خدمته**"[4]، وهذة الإحالة الجهوية تحتمل كثيراً من الجدل، والتأويل السلبي أو الإيجابي إلا أن مجاراتها أو السير علي منوالها في توظيف التاريخ هنا وهناك لصالح هؤلاء، أو هؤلاء يخالف رؤيتنا الوطنية.

ومن النماذج الأخري المعاصرة للمؤرخين الليبي توصيف (محمد عمر مروان) لجماعة الكراغلة الليبيين في مرحلة التأسيس الأولي، من خلال الربط ما بين وحدات الانكشارية العثمانية، و الكراغلة، في ربط غير موفق بين ظاهرة ضريبة الغلمان " **الدوشرمة** " العثمانية في شرق أوروبا المسيحي، و الكراغلة الليبيين بأن يشير إلي أن أولئك الغلمان يربونهم : " **تربية إسلامية عسكرية تحت اسم قارقول وقد اطلق السكان اسم كوراغلي عليهم**"[5]، أي أنه ربط بين الهيئة الحاكمة العثمانية

---

[1]هينريش فون ما لتسان، في رحاب طرابلس و تونس عام ١٨٦٩، ترجمة : عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس، ٢٠٠٨، ص ٢٥٥ .

[2]محمد شاكر مشعل، الشمال الإفريقي و العثمانيون، ليبيا العصر العثماني الأول ١٥٥١ – ١٧١١.د.ن.١٩٨٥، ص ١٢٥-١٣٠ .

[3]هينريش فون مالتسان، مصدر سابق، ص ٣٢٤ – ٣٢٥.

[4]مقدمة حسن الهادي بن يونس لكتاب : إسماعيل كمالي، سكان طرابلس الغرب مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٩٧، ص٦.

[5]محمد عمر مروان، تاريخ ليبيا الحديث المعاصر (ضمن كتاب معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا)، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية القاهرة، ٢٠٠٨، ص ١٠١ .

المعروفة بإسم (القولار)[1]، والوحدات العسكرية العثمانية الجديد من الانكشارية وما لها من خصوصية في مراحل تشكيلها و المراحل اللاحقة[2]، وبين الكراغلة الليبيين وهذه المجموعات متباينة وبعيدة عن بعضها البعض .

أما الباحث السياسي (علي عبد اللطيف حميدة) فيتعرض في دراسته القيمة عن " **المجتمع و الدولة و الاستعمار في ليبيا : دراسة في الأصول الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية** " لجماعات الكراغلة الليبيين، ويخرج عن السياق التقليدي في تعريفهم وتوصيفهم من خلال ما يشبه مسايرة المناخ العام الذي طغي علي الدراسات الليبية في الأربعينية الماضية، لاسيما محاولة اختلاق حالة من التباين غير المرئية بين سكان الحواضر الشمالية، والصحاري الوسطى والجنوبية، وهذا التصور يقوم علي طرح محوري مفاده أن سكان الحواضر و الواحات الليبية من الحضر – بغض النظر عن أصولهم العرقية –كانوا في خانة التواطؤ مع الاستعمار، أو علي الأقل الاستكانة و الرضوخ للأمر الواقع، مقارنة بالجماعات البدوية التي فضلت المقاومة، أو الهجرة إلي الآفاق البعيدة، ورفض الخضوع للمستعمرين، هذا الطرح التصوري يشمل بالتأكيد قبائل الكراغلة المستقرون في المدن و الحواضر الليبية .

وفي معرض وصف أحميدة للكراغلة يحدثنا عن طبقة عسكرية من أبناء الانكشارية أفرزت لنا أحمد باشا القرمانلي سنة ١٧١١م، وعلي الرغم من منشأهم المحلي إلا أنهم في النهاية " **تصرفوا كأتراك، وأعضاء في النخبة الحاكمة كضباط أو قوة خاصة أو بوليس، وجامعي ضرائب، ولكن الأسرة القرمانلية ليست كالولاة العثمانيين السابقين، لقد حاول الولاة القره مانليون تقديم أنفسهم للأهالي كليبيين وفي بعض الأحيان استخدموا اللغة العربية في كتاباتهم** "[3]، الطرح الذي قد يكون تجاوز بكثير ما أوردته المصادر الوثائقية و الراحلية، لاسيما فيما يتعلق بالحديث عن جماعات الكراغلة كأنهم طبقة اجتماعية منغلقة علي ذاتها، أما قضية اللغة فإن الباشوات القرمانليين استخدموا علي نطاق واسع العربية المحلية الدراجة في جل مراسلاتهم التي وصلت إلينا[4]، حتي مع الدول والكيانات الأوروبية[5]، علي الرغم من أن قضية اللغة في القرن التاسع عشر كانت تخضع لمتطلبات تجارية و اقتصادية، حيث استخدمت اللغة الأمازيغية في مراسلات تجار واحات غدامس و غات، ولغة الكانوري السودانية في واحة مرزق و الواحات التجارية الفزانية جنوب ليبيا[6]، بحيث لا يمكن يمكن عد اللغة المستخدمة معيارا أو عاملاً حاسماً في تحديد توجهات و انتماء القرمانليين بأية حال من الأحوال .

أدي استرشاد علي عبد اللطيف حميدة بهذا المنهج الانقسامي إلي رؤية المجتمع الليبي في القرن التاسع عشر من خلال الانقسام ،والتشرذم، فيصف المجتمع عموماً و مكوناته بانهم : " **كانوا مقسمين إلي فئات، طبقات وقبائل : تجار، فلاحون عبيد وتكوينات قبلية جماعية، عكست غالبية السكان مزيجاً من البربر، العرب و الأتراك و الزنوج هذا التعدد العرقي**

---

[1]عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢، ج١ ص ٣٥٦-٣٥٧

[2]أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، منشورات أيتراك للنشر، ٢٠٠٢، ص ٥٦-٦٠ .

[3]علي عبد اللطيف حميدة، المجتمع و الدولة و الاستعمار في ليبيا، دراسة في الأصول الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية لحركات و سياسات التواطؤ و مقاومة الاستعمار ١٨٣٠ -١٩٣٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٩٨، ص ٤٩ .

[4]الوثائق العربية .

[5]وثائق البندقية .

[6]فاتح رجب قداره، فزان أثناء العهد العثماني الثاني، مرجع سابق، ص ٤١٠ – ٤١٣ .

خففه الاعتقاد في الإسلام السني المالكي لغالبية السكان "[1]، وهذة حقائق لا ننكرها أو نتجاهلها، إلا أننا يمكنا قراءاتها من خلال حالة التنوع الطبيعي الذي فرضتها طبيعة الموقع الجغرافي لهذه البلاد، و تعدد السلطات التي تناوبت علي ليبيا عبر العصور، وقدم حالة الاستقرار البشري في هذا الإقليم ومحيطه، كما أن تنوع مصادر الحياة الاقتصادية الليبية في التاريخ الحديث حتمت مسألة التعاون التكاملي بين مختلف تلك الأعراق، ووجدت التحالفات القبلية لمساندة حالة التكامل الاقتصادي و المعيشي . بحيث تبلورت وسط هذا التنوع هوية وطنية محلية جامعة في الأغلب، علي الرغم من التنافر الجهوي المحلي الطارئ .

يلاحظ من خلال تلك النماذج من رؤي المؤرخين الليبيين المعاصرين، الحالة الاجتهادية الطاغية حينا، وتبني الطرح التقليدي من دون البحث في دور هذا المكون الاجتماعي في بناء الدولة الوطنية، بل أن هذه الأطروحات قد تفتح الباب للبحث في الأصول الاجتماعية، و المنطلقات الفكرية لهذا المؤرخ أو ذاك، للاقتراب أكثر من مرجعيات أرائهم و رؤاهم . خاصة و أن بعض المؤرخين الليبيين المنحدرين من قبائل الكراغلة حاولوا غيجاد نوع من التوفيق، و القراءة الوطنية لمسألة الكراغلة الليبيين من خلال التركيز علي البعد (الوظيفي) للكراغلة في مساندة الدولة العثمانية محلياً، و هو الطرح الذي يحمل جزءاً كبيراً من الحقيقة التاريخية حينما تدافعت الكثير من القبائل المحلية للحصول علي صفة ووضعية الكراغلة[2]، إلا أن المصادر التاريخية الأساسية في التاريخ الليبي الحديث، التي في مقدمتها ابن غلبون، تفرق بشكل واضح بين الجنود الأتراك، وبين الكراغلة المحليون (الكول أو غلي)[3]، وبين الكراغلة من أبناء العرب[4]، وهذا ما جعل مؤرخ آخر يطرح فكرة و مصطلح (المستعرب المحلي المستقل) عن الدولة العثمانية في ليبيا، وأسس لحالة من حالات الاستقلال السياسي عن السلطة المركزية في استانبول، ومنحت لليبيا شكلاً نسبياً من أشكال الدولة بالمفهوم الحديث كما يعتقد عمار جحيدر[5]، وتأويله هذا يدفعنا للبحث في شأن المستعرب الأمازيغي، و المستعرب التباوي، أو الطارقي أسوة بالمستعرب التركي .

و أخيراً يمكن القول : أن رؤية المؤرخين الليبيين المعاصرين للكراغلة ودورهم في التاريخ الوطني ارتبطت و إلي حد بعيد بالخلفيات الاجتماعية التي ينحدر منها أولئك المؤرخين، حيث لعبت نزعة تمجيد الذات الجهوية أو الاجتماعية دورها الوطنية، أو حتي المنهجية العلمية التي تلاشت أمام التصورات الاجتماعية المتوارثة، و بالتأكيد لكل قاعدة استثناء .

الكراغلة والسلطة:

تعد علاقة جماعات الكراغلة بالسلطة الحاكمة في ليبيا، مصدر الإشكالية الدائمة التي تبناها المؤرخون و المعنيون بمسيرة الحدث التاريخي الليبي، وأسسوا عليه كثيراً من آرائهم و اجتهاداتهم حول هذا العنصر– الاجتماعي، ففاعلية و حيوية، وحضور الكراغلة الكراغلة اللافت وأحياناً الطاغي علي المشهد السياسي، والعسكري، و الاجتماعي جعل هذه الجماعة

---

[1]علي عبد اللطيف حميدة، المجتمع و الدولة و الاستعمار في ليبيا، مرجع سابق، ص ٧٦ .

[2]عقيل محمد البربار، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث، منشورات elga فاليتا، ١٩٩٦، ص ٦٥ – ٧٥ .

[3]ابن غلبون، التذكار، مصدر سابق، ص ١٦٩ .

[4]حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، تحقيق : عمار جحيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ٢٠٠١، ج٢، ص ٢٣٢، و ٢٦٢ .

[5]عمار جحيدر' مصادر الحياة الفكرية في ليبيا العهد القرمانلي، المجلة التاريخية المغربية السنة ١٧، العدد ٥٩ – ٦٠، أكتوبر ١٩٩٠، ج ٣، ص ٥٨٦.

محل تأويلات و اجتهادات تاريخية، ومعاصرة . بحيث اختزلوا دائماً في أنهم يقدمون خدماتهم للسلطات القائمة في البلاد، مقابل ما يحصلون عليه

من إعفاءات و امتيازات جبائية من دون غيرهم من السكان[1]، و هذا الطرح الوظيفي الذي يحيل إلي مسأله قرب هذه الجماعة من السلطة الحاكمة العثمانية أو القرمانلية، ومن ثم العثمانية في العهد العثماني الآخر .

ننطلق في قراءة هذة العلاقة بالسلطة الحاكمة في ليبيا من حقيقة سياسية انتهجتها السلطات العثمانية في جميع ولاياتها تقوم علي مبدأ إخضاع السكان لسلطاتها الفعلية أو الاسمية في حواضر، و أرياف، وواحات، تلك الولايات عن طريق توظيف القوي المحلية النافذة من شيوخ القبائل، و الأعيان، ورجال الدين، والطرق الصوفية لتحقيق أهدافها السياسية في فرض الأمن و الاستقرار، وجمع الضرائب مقابل حصول تلك القوى علي استثناءات، أو امتيازات اقتصادية متنوعة بحسب ظروف ومعطيات كل ولاية .

و علي الرغم من الطرح التقليدي القائل بأبوة الجنود، أو الضباط الانكشارية للكراغلة، إلا أن المصادر التاريخية تجمع علي أن أواخر القرن السادس عشر، و القرن السابع عشر عرف إشكالاً مختلفة و متباينة من التنافر و الصراع بين الحامية العثمانية الانكشارية في ليبيا و جماعات الكراغلة الليبيين، بل إن هذا الصراع تطور في نهاية القرن السابع عشر و الثامن عشر ليصبح عملية إقصاء معتمد استطاع خلالها الكراغلة أبعاد جنود وضباط الانكشارية، و التخلص منهم نهائياً في عهد أحمد باشا القرمانلي ١٧١١ – ١٩٧٥ م، بعد أن نفذ فيهم مذبحته الشهيرة في منطقة الظهرة بطرابلس[2]، ولم يكن هذا الصراع بين الكراغلة المحليين، و الضباط والجنود الانكشارية حالة ليبية منفردة بل شهدت الأياليتين المغاربيتين (تونس و الجزائر) ذات النمط من الصراع[3]، وهذا ما يطرح سؤالاً : **كيف يصبح الآباء المؤسسون أعداء يجب التخلص منهم ؟**

لا تقدم لنا المصادر التاريخية حول هذا التغير في علاقة الكراغلة بالانكشارية ممثلي الدولة، والسلطان العثماني في ليبيا، عدا تعقيب المؤرخ التركي المعاصر (يلماز أوزتونا) الذي يرجع هذا الصراع إلي نظرة التفوق العرقي التي مارسها الانكشارية، و الأتراك الخلص الدم إلي الكراغلة المحليين، حيث أصر الأتراك علي عدم منح أولادهم الذين من أصلابهم وظائف تعادل وظائفهم وكانوا يرغبون في حصر السلطات في مجال أضيق، فيما كان الكراغلة يعدون أنفسهم أتراكاً و يعادلون آباءهم الذين يصرون علي عدم إسناد الوظائف العالية لهم[4]، هذا التعقيب فيه كثير من التبسيط وتصور عرقي مختلف للصراع الذي لا نعتقد بأنه حاضراً في تلك الحقبة الزمنية .

ونرجع أن يكون من أسباب الصراع بين الانكشارية الوافدين للعمل في الحامية العثمانية، و الكراغلة المحليين يرجع إلي نظرة الاعتزاز بالذات، و الاعتدا بالنفس عند الكراغلة الليبيين، بعد أن أصبحوا خلال القرن الثامن عشر – عنصراً غالباً، له وزنه القوي في الحياة العامة، إذ يتفوق علي الأتراك بقرابته إلي العرب و الأمازيغ الذين يكونون الأغلبية العظمى من سكان ليبيا،

---

[1] هنريكو دي أوغسطيني، سكان برقة، مصدر سابق، ص ٥٣ .

[2] ينظر حول تفاصيل هذه المذبحة : إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١، ترجمة : خليفة محمد التليسى، الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٩٩١، ص ٣٢٨ .

[3] محمد أمين، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبعة آنفو – برانت، فاس، ٢٠١١، ص ٣٣ .

[4] يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، مجلد ٢، ص ٨٧٢ .

و تميز الكراغلة أيضاً بقدرتهم علي فهم مشاعر السكان المحليين و حاجتهم، لاسيما و أن حالة الانصهار و الأندماج بين الكراغلة والسكان المحليين قد أخذت في ازدياد دائم[1]، إلي جانب اطلاعهم علي الحالة المتردية للحامية و السلطات العثمانية في ليبيا مما عزز لديهم الشعور بالأحقية في إدارة دفة الحكم و الإدارة المحلية .

ويعزز هذا الاعتقاد تبلور تشكيلات الكراغلة الاجتماعية في إطار مجتمعاً قبلياً في المناطق الحيوية التي استقروا بها، الأمر الذي منحهم دفعة تنظيمية قوية وسط التنظيم الاجتماعي الليبي، و انخراطهم في التحالفات القبلية المحلية المعروفة بـ (الصفوف القبلية)[2]، ولعل في هذا تفسيراً منطقياً لصعود الكراغلة لسدة السلطة في القرن السابع عشر – حينما اشتد التنازع بين ضباط الانكشارية علي كرسي الولاية، الأمر الذي مهد إلي بروز شخصية محمد باي الملقب باسم (ابن الجن الكول أوغلي) كقائد للجيش، و الذي استطاع الانتصار علي آخر الولاة (خليل بك ١٧٠٢ – ١٧٠٩)[3] الذي دخلت ليبيا في عهده مرحلة تحول مفصلي انتقلت علي إثرها السلطة من الترك إلي الكراغلة، الحدث الذي يتطلب الوقوف عنده قليلاً .

شهد الربع الأخير من القرن السابع عشر، و العقد الأول من القرن الذي يليه ١٦٨٢ – ١٧١١، حالة من حالات تحلل السلطة العثمانية في طرابلس الغرب، وتمثلت أساسا في استهتار قادة الانكشارية بالسلطة، ومنصب والي الولاية، حيث تناوب خلال تلك الفترة عدد من الولاة صنيعة ضباط الانكشارية، مما زاد من حركات التمرد و العصيان في محيط طرابلس و المناطق الداخلية، الأوضاع المتردية التي كانت العوامل الأساسية وراء قيام الدولة القرمانلية في المرحلة اللاحقة، بعد أن سئم الأهالي الاضطراب، و الخوف وعدم الطمائنينة[4]، كان أخر فصول ذلك الصراع خلع الوالي خليل باشا سنة ١٧٠٩ علي يد (إبراهيم أليلي) الذي استقل بحكم الولاية عاماً كاملاً تصرف خلاله بحرية مطلقة وشرد أنصار الوالي السابق، ثم سلم قيادة قواته لأحد رؤساء البحرية المشهورين (محمد بك) الملقب بابن الجن، المنحدر من الكراغلة المحليين[5]، الذي استطاع صد محاولات الاستيلاء علي طرابلس من قبل قيادات الوالي السابق خليل باشا، و ظفر بتأييد الأهالي و إعجابهم به، ومساندته في سياسته تجاه منصب والي الولاية، بعد أن عزل الوالي السابق و نفاه، وعمد إلي الاقتصار علي تولي قيادة القوات العسكرية في الولاية، والتحكم في تنصيب وعزل الولاة، ويعلق المؤرخ التركي عزيز سامح علي هذا التحول بالقول : " **لما كان ابن الجن يعرف مصير الدايات، رأي أن يمسك بيده زمام قيادة القوات المسلحة و أن يأتي بداي اسمآ فقط**"[6].

والأهم من هذا السياق ما أورده المؤرخ الليبي ابن غلبون (توفي ١٧٣٥ م) حول نهاية حكم الترك (العثمانيون) وتولي الكراغلة حكم الولاية، بأن يعلق علي هذا التحول الكبير في السلطة بالقول : " ... **وكان الله سبحانه أراد انقراض الدولة**

---

[1]إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي، مصدر سابق، ص ٣٢٣ .

[2]عمرو سعيد بغني، أبحاث في تاريخ ليبيا الحديث و المعاصر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ١٩٩٦، ص ٣٠ –٣١

[3]الطاهر احمد الزاوي، ولاة طرابلس الغرب من بداية الفتح العربي إلي نهاية العهد التركي، دار الفتح للطباعة و النشر، بيروت ١٩٧٠، ص ٢١٥ – ٢١٦ .

[4]عمر علي بن إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ١٩٩٦، ص ٣٢

[5]إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي، مصدر سابق، ص ٣١٨ .

[6]عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة : عبد السلام أدهم، دار لبنان، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٤٣ .

التركية وإقامة الدولة القول أوغلية، فأيد محمد الجن، و سلطة الترك علي بعضهم وضعف أمرهم ... "[(1)]، وتمثل التحول في سيطرت الكراغلة علي مقاليد السلطة الفعلية، وإبعاد بقايا ضباط الانكشارية، واتخاذ محمد الجن من منطقة (المنشية) مقراً لإقامته التي أدار منها البلاد وبيد من حديد، قبل أن يقتل هو أيضاً وتمهد الأحداث لبروز شخصية أحمد باشا القرمانلي الكراغلي لتولي السلطة، وتأسيس أسرة محلية حاكمة في طرابلس الغرب سنة ١٧١١ م[(2)].

علي الرغم من غياب محمد بن الجن عن ساحة السلطة في طرابلس الغرب، إلا أن ذلك لم يغيب الكراغلة عن سدة الحكم في الإيالة، بل أكمل المشوار أحمد القرمانلي الذي ثبت أقدام الكراغلة الليبيين في السلطة، وأسس الأسرة محلية حاكمة وراثية، تمثل من الناحية السياسية مولد الدولة الليبية الحديثة في أبعادها الإقليمية و الدولة و سياسته الوطنية الداخلية البعيدة كل البعد عن السياسة العامة للدولة العثمانية، علي الرغم من التبعية الأسمية للسلطان العثماني .

وبعيداً عن سياق سيرة الحدث التاريخي في ليبيا أثناء العهد القرمانلي، الذي حظي بعدد من الدراسات التاريخية الوصفية، سنركز اهتمامنا بمرجعيات القرمانليين الاجتماعية الكراغلية، وسياساتهم الوطنية الليبية التي توضح بجلاء القطعية النهائية بين موطن الأجداد في الأناضول، و الوطن الليبي الذي اندمجوا فية منذ أكثر من قرن ونصف من الزمان، وانعكس هذا الاندماج والانصهار في سياساتهم، ورؤية الليبيين للأسرة القرمانلية، الرؤية التي تنسحب بالضرورة علي جماعات الكراغلية .

تعدد الآراء حول أصول الأسرة القرمانلية، والفترة التي وصل فيها " الجد المؤسس " إلي الأراضي الليبية، و اتخاذها وطناً له ولأسرته، حيث تكمن أهمية هذه الآراء في أنه تكشف لنا أصول أسرة من الكراغلة الليبيين يمكن عدها " نموذجا " لبدايات استقرار الكراغلة في ليبيا، وأقدم نص وصل إلينا ما يورده المؤرخ (ابن غلبون) المعاصر لعهد أحمد باشا القرمانلي، و المقرب منه، لذلك خصه المؤرخ بلقب " أمير المؤمنين أحمد بن يوسف بن محمود بن مصطفي القرميلي، نسبة إلي القبيل المشهور بأرض الأناضول ... كان جده مصطفي كبير طائفة من الجند موقراً مهاباً ...." [(3)]، ولا يقدم لنا المؤرخ معلومات عن بداية استقرار هذه الأسرة في ليبيا، إلا أن الشيخ الطاهر الزاوي محقق كتاب التذكار، يورد لنا إن أول من جاء من هذه الأسرة إلي طرابلس هو : مصطفي القرمانلي الجد الأعلي لأحمد باشا القرمانلي، وكان بحاراً . و امتلك بعض المزارع في حي المنشية، ونشأت ذريته بين سكان تلك المنطقة، و احصروا فيهم و التحق بعضهم بوظائف الحكومة "[(4)]، وما يورده لا يقدم لنا الكثير عدا استقرار القرمانليين في منطقة المنشية، التي سوف تكون مصدر قوة الدولة القرمانلية ومن الأسباب الرئيسية لانهيارها، وسقوطها بعد ذلك.

المعلومات الأهم في شأن نشأة الأسرة القرمانلية، تلك التي يورده القنصل الفرنسي شارل فيرو، و ينسبها إلي المؤرخين التقليديين بأن يشير إلي أن : " جد القرمانيليين كان مجرد قرصان من مواليد مدينة قرمان بالأناضول، قدم إلي طرابلس في زمن ولاية طورغود . كشأن غيره من المغامرين الأتراك، فإنه تملك بستاناً في ضاحية المنشية و استقر فيه، حيث تزوج من

---

(1) محمد بن خليل غليون الطرابلسي، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار تحقيق : الطاهر أحمد الزاوي، مكتبة النور، طرابلس، ط٢، ١٩٦٧، ص ٢٠٧ .

(2) رودلفوميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة الفرمانلي، مرجع سابق، ص ٨-٩ .

(3) ابن غليون، التذكار، مصدر سابق، ص ٢٥٠ — ٢٥١ .

(4) نفس المصدر، تقديم المحقق للعهد القرمانلي، ص ٢٠٩ .

إحدي نساء المنطقة العربيات . ولقد توارثت سلالة هذا القرصان من أب إلي ابن أسم جدهم الأول الملقب بالقرمانلي غير أنهم استمروا في مصاهرة العرب و امتزج دمهم بهم، فإنه لم يمضي وقت طويل حتي لم تعد لهم من الصبغة التركية سوي الاسم فقط "[1]، وهي الرواية الأكثر ترجيحاً بين المصادر التاريخية المتاحة و أن اختلفت في تفاصيل مجي و استقرار هذه الأسرة .
و يتربع أحمد باشا القرمانلي علي كرسي الولاية، أضحت السلطة الفعلية في يد الكراغلة الليبيين طوال عهد الأسرة القرمانلية ١٧١١ – ١٨٣٥ م، و هو العهد الذي حظي بكثير من الدراسات العلمية التي أرخت لوقائعه في سياقات متباينة : في سياق عثماني عند أغلب الدراسات[2]، و أحياناً في إطار ضعف الدولة العثمانية و تفرد جنودها بالسلطة في الولايات البعيدة[3]، فيما نعتقد أن أحمد القرمانلي أسس لدولة وطنية ليبية استطاع بجهوده، وجهود خلفائه من بعده بلورة الشخصية السياسية و الإقليمية للدولة الليبية الحديثة، وعلي يد عناصر محلية علي الرغم من أصولهم الأناضولية البعيدة، وهذا ما جعل (جلين تكر) في كتابة معارك طرابلس يقول : " يمكن اعتبار تولي أحمد القرمانلي نقطة انتقال في السيطرة علي الولاية من يد الأتراك إلي يد العرب و البربر المحليين "[4]، وعبر هذا التغير السياسي عن نفسه في التحولات التي أحدثها أحمد القرمانلي في ليبيا، و السياسات التي انتهجها في إدارة البلاد مما دعانا إلي عدها سياسة وطنية ليبية .
فقد اعتمد الباشا القرمانلي علي الضباط والجنود الكراغلة في إدارة البلاد إلي جانب حلفائه التقليديين من القبائل الليبية بعد تخلصه من الضباط الأتراك، قبل أن يتجه إلي توطيد أركان سلطته في مختلف المناطق الليبية، و إدخال كثير من التحسينات الاقتصادية و الأمنية خلال حكمة الذي دام ٣٤ سنة أصبحت فيها " طرابلس علي درجة عالية من العظمة، لم يسبق لها أن شهدت مثيلاً لها"[5]، ويعزي ذلك إلي انصهار القرمانليين الكراغلة وفهمهم لمتطلبات بلادهم، وسياستهم، و مراسيمهم الحكومية الليبية، و اعتمادهم اللغة العربية كلغة رسمية في الولاية[6]، وغير ذلك من الأعمال التي تصب جميعها في خانة الانصهار و الاندماج بين الكراغلة بقية مكونات و تشكيلات المجتمع الليبي، ومن ثم لا نستغرب عدداً من المواقف المحلية المطالبة بعودة القرمانليين إلي حكم طرابلس بعد انهيار دولتهم و نفيهم إلي استانبول علي يد العثمانيين، بعد عودة الحكم العثماني المباشر ١٨٣٥ – ١٩١١ م .
عقب نهاية العقد القرمانلي اندلع عدد من الثورات، وحركات التمرد المحلية ضد العثمانيين، وتعددت مطالب الثائرين، لعل من أبرزها المطالبة بعودة الباشوات القرمانليين لحكم طرابلس الغرب، وهذا ما عبر عنه الشيخ (غومة المحمودي) زعيم ثورة الجبل الغربي وغرب الولاية، و الذي رفع عريضة مفصلة إلي السلطان عبد المجيد في سنة ١٢٦٨ هـ (١٨٥٢)، يعدد فيها مساوئ الولاة العثمانيين القادمين من استانبول، وجهلهم بأحوال الولاية وطبائع و لغة سكانها، وممارستهم التعسف و الجور

---

[1]شارل فيرو، الحوليات الليبية، مصدر سابق، ص ٣٤٩.

[2]لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، دار الفارابي، بيروت، ط ٨، ١٩٨٥، ص ٣٠ الذي يختزل القرمانليون في أسرة انكشارية.

[3]عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، مصدر سابق، ص ١٤٣ – ١٤٤

[4]جلين تكر، معارك طرابلس بين الأسطول الليبي و الأسطول الأمريكي في القرن الثاني عشر، ترجمة : عمر الديراوي، أبو مجلة – دار في المحدودة، لعدد ١٩٨٣ م، ص ٣٥٢ .

[5]كولا فولايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القره مانلي، ترجمة : عبد القادر المحيشي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٨ م، ص ١٢ .

[6]إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي، مصدر سابق، ص ٣٢٣ .

ضد الليبيين، حتي يصل بعرضه إلي المطالبة بعودة الأسرة القرمانلية للحكم حيث تخاطب السلطان قائلاً : " **فالمطلوب من مقام خلافتكم أن تنظروا إلينا بعين الرحمة وما أمركم الله به من النظر في مصالح المسلمين، بصدور أوامركم الشريفة بأن يكون الوالي علينا باشا عربياً مؤيداً يعلم نفسه أنه مقيم بيننا طول عمره و أنها بلده، ليس يكون عاملاً خاطفاً كالطير ... فالمأمول من خصلكم العلي أن يكون تعيين الباشا من هو الأحق به من قديم الزمان و خدامها سلفاً عن خلف وهو عربي من جنسنا، ومن أهل بلدنا من البيات من السادات القرمانلين، لأنهم يعرفوننا و نعرفوهم و يعلمون طبائعنا و يسوسوننا طبق إرادتكم العلية "** [1].

ويعزز هذا التوجه في عد القرمانليين جزءاً من النسيج الاجتماعي الليبي، وحالة الارتباط الوثيقة الصلة بين الليبيين من أماريغ، و عرب، وكراغلة، العريضة التي رفعها عدد من المشايخ و أعيان منطقة الجبل الغربي إلي السلطان العثماني في سنة (١٢٧ هـ – ١٨٥٥ م)، و التي يسردون فيها تأسيس حكم الأسرة القرمانلية، و أن هذا الحكم تم بالاتفاق مع أهالي الولاية، حتى مجي ولاة العهد العثماني الثاني، و استولوا علي الحكم من دون علم السلطان – كما يعتقدون – و أعمالهم و نهبهم لممتلكات السكان لذلك يأملون عودة القرمانليين لحكم الولاية[2].

دور الكراغلة في الحدث الليبي الحديث و المعاصر :

تعد مسألة الدور الذي قام به أبناء الكراغلة الليبيين في مسيرة الحدث السياسي، و الاجتماعي، والاقتصادي، و الثقافي، من المسائل الغامضة لامتزاجها في سياق الحدث الليبي، و لعل محاولتنا هذه قد يستهجنها البعض، أو يرمينا آخرون بتهمة ممارسة (الفرز التاريخي) لأحد المكونات الاجتماعية الليبية الفاعلة، و الحاضرة و بقوة في الأحداث و الوقائع الليبية في التاريخ الحديث و المعاصرة، و الرد المسبق علي ذلك أن هذه الجماعات أو القبائل تتعرض بين الحين و الآخر لتلميحات و إشارات مباشرة، أو غير مباشرة من جانب المؤرخين، و الساسة كما سبقت الإشارة إلي الخلفية الاجتماعية الوثيقة الصلة بالحقبة العثمانية، أو البعد التركي التاريخي في تشكلها و محاولة احتكار البعد الوطني لدا بعض التشكيلات الاجتماعية الليبية من دون غيرها .

ولكن الدارس المتمعن، و المؤرخ الذي يروم الحقيقة و الموضوعية في أبحاثه و تنقيبه في ركام، و تراكمات الحدث و الوقائع التاريخية، يلمس بجلاء الدور الحيوي للكراغلة الليبيين في بناء الدولة، و المجتمع الليبي الحديث و المعاصر، لاسيما منذ تأسيس الدولة القرمانلية علي يد الكراغلة الذين مهدوا لقيام هذة الدولة الوطنية، كما يشير إلي ذلك أحد الباحثين بقوله إن : " بروز طبقة القولوغلية التي تأقلمت مع الوضع المحلي المعاش في طرابلس، و ساعد في ذلك ارتباطهم بأواصر القربي مع السكان المحليين وكان منهم القرمانليون "[1]، وعلي الرغم من تحفظنا علي استخدام عدد من المفاهيم المادية الماركسية من قبيل " الطبقة و الإقطاع و الطائفة " التي شاعت في عدد من الدراسات الأكاديمية الليبية بتأثير المؤلفات الماركسية العديدة

---

[1] نص الوثيقة منشورة ضمن كتاب : علي عمر بن إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية، مرجع سابق، ملحق رقم ٧٠، ص ٥٤٣ – ٥٤٤

[2] د.م.ت.ط، ملف الشيخ غومة المحمودي، وثيقة رقم ١١٨ عريضة من أعيان الجبل الغربي للسلطان العثماني، بتاريخ ١٢٧١ هـ (١٨٥٥م).

[1] محمد عبد المجيد حبيل، إيالة طرابلس الغرب و برقة ١٧٩٥ – ١٨٥٨ م دراسة لأنماط الأوضاع الاقتصادية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ مركز البحوث و الدراسات العليا، جامعة الزاوية، ٢٠٠٤، ص ٤ .

التي أرخت للتاريخ الليبي، لاسيما أعمال المستشرق السوفيتي (نيكولاي ايليتش بروشين) التاريخية[2]، و التي حللت هذا التاريخ وفق التحليل المادي لهذة الدراسة التاريخية، و بما لا يتوافق مع التكوين الاجتماعي و الاقتصادي لهذا المجتمع .
إذا اتفقنا علي البعد الوطني الليبي للدولة القرمانلية، فإن هذا الاتفاق يفتح لنا مجالاً أوسع للأدوار التي اضطلع بها الباشوات القرمانليون الكراغلة، علي مختلف الصعد المحلية، و الإقليمية، و الدولية . فقد انيط بالكراغلة الليبيين إلي جانب بقية التشكيلات القبلية المتحالفة معها، تقديم الخدمات الحكومية، و الإدارية و الأمنية كافة، لاسيما في الجيش الفرمانلي وجباية الضرائب، وحفظ الأمن، والاستقرار الداخلي، في مقابل تمتع المنخرطين في هذه الخدمات بالامتيازات، و عدد من الحقوق و الإعفاءات، وهذا ما شجع عدد من القبائل العربية للدخول تحت وظيفة الكراغلة، أو (المخازنية) بعدها قبائل موالية و مقربة من السلطة الحاكمة[3]، كما تبلورت في رحم هذة الجماعات فئة (رياس البحر) الذين قادوا مراحل من حركة الجهاد البحر الإسلامي ضد الأساطيل الغربية في العصور الحديثة، أسوة ببقية الإيالات المغاربية[4].
وترتب علي هذا النشاط الجهادي البحري في العهد القرمانلي، بروز الشخصية السياسية و الإقليمية للدولة الليبية الحديثة، التي تعلن الحروب، وتعقد الاتفاقيات و المعاهدات مع الدول الأوروبية، بعيداً عن السلطة العثمانية[5]، خاصة في عهد يوسف باشا القرمانلي ١٧٩٥ – ١٨٠٥ م، الذي تحولت فيه ليبيا إلي مركز قوة متصاعد في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط[6]، وترتب علي هذا البروز الليبي سيل من المعاهدات و الاتفاقيات الثنائية مع الدول الغربية التي تؤرخ للتاريخ الدبلوماسي و العسكري الليبي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر[7].
وبعيداً عن تفاصيل تلك الوقائع فإن الكراغلة اللذين تحملوا عبء تأسيس الدولة القرمانلية، وعضدوها، كانوا وراء انهيارها، وسقوطها سنة ١٨٣٥م وعودة الحكم العثماني المباشر، نتيجة لسياسات يوسف باشا القرمانلي و نهاية الجهاد البحري (القرصنة) وما ترتب علي ذلك من أزمات اقتصادية واجتماعية خانقة، سبب قيام الثورة و النزاع الأسري حول السلطة في ليبيا سنة ١٨٣٢ م، نتيجة لشعور الشعب بشدة الضائقة الاقتصادية من ناحية و كثرة الضرائب المرهقة من ناحية أخري، التي لم يسلم منها حتي الكراغلة الليبيين الذين كانوا يتمتعون بالإعفاءات الضريبية منذ زمن[1]، خاصة كراغلة المنشية و

[2]ت . إ . بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ترجمة : عماد حاتم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٩١ .

[3]هنيريكو دي أغسطيني، سكان ليبيا، مصدر سابق، ج١، ص ٤٣ .

[4]حول حركة الجهاد البحري ينظر : محمد الحراري عبد السلام، الجهاد البحري في ليبيا من ١٥٥١ إلي ١٧٧١ م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب و العلوم الإنسانية المحمدية ، جامعة الحسن الثاني، المحمدية السنة الجامعية ١٩٩٩ – ٢٠٠٠ .

[5]عمر علي بن إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية، مرجع سابق، ص ٨٨.

[6]كولافو لايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القره مانلي، مرجع سابق، ص ٤١ – ٤٥ .

[7]جورجو كابوفين، طرابلس و البندقية في القرن الثامن عشر، ترجمة : عبد السلام باش أمام، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٨، ص ٣٣ وما بعدها .

[1]عمر علي بن إسماعيل، انهيار الأسرة القرمانلية، مرجع سابق، ص ٢٧١ .

الساحل في ضواحي مدينة طرابلس القديمة، الثورة التي انتهت بنهاية حكم هذة الأسرة سنة ١٨٣٥م[2]، كسلطة حاكمة، ولا علاقة لها بالمكون الاجتماعي الكراغلي الذي انصهر نهائياً في المكون الاجتماعي الليبي .

و انخرط الكراغلة قبل هذه المرحلة في وسط التقسيمات السياسية و الاجتماعية التقليدية المتعارف عليها بين القبائل الليبية التي تسمي بـ (الصفوف القبلية) وهي تحالفات تقليدية، وتتزعم كل صف، أو تحالف أحدي القبائل القوية المحاربة، وكان لهذا التحالف أهمية كبيرة في توجيه السكان الليبيين تجاه السلطة القائمة، ومن أهمهم تحالف البحر، و التالف الفوقي " الداخلي "، حيث تزعم الكراغلة الليبيين الصف البحري، بعدهم أحد القبائل القوية في هذا الصف القبلي، والموالي تقليدياً للسلطة الحاكمة، لاسيما في مدن وحواضر شرق طرابلس الغرب[3]، وأضحوا بذلك جزءاً أساسياً من تفاعلات و حراك المجتمع الليبي، وتجاذباته، وتناقضاته المحلية، جنباً إلي جنب مع القبائل العربية و الأمازيغية، و الجماعات الزنجية الإفريقية حتي نهاية العهد العثماني الثاني سنة ١٩١١ م، وبداية الغزو الاستعماري الإيطالي حيث كانوا كبقية مكونات المجتمع الليبي في طليعة المقاومين لهذا الغزو .

علي جانب أخر يمكن قراءة و استطلاع دور الكراغلة الليبيين في الأحداث و الوقائع الليبية من خلال رصد أعلام السياسة، و الثقافة ، والقيادة العسكرية الذين ينحدرون من قبائل الكراغلة، وهم كثر نحاول فقط الإشارة إلي إبرزهم للتدليل علي هذة الأدوار التي تصب في الرصيد الوطني للكراغلة .

و تمثل شخصية (عبد الرحمن آغا البديري ١٧٢٠ – ١٧٩٢ م) أبرز هذه الشخصيات السياسية الليبية في مضمار السياسة الخارجية، فهو سفير ليبيا لدا الدول الأوربية باسم القرمانليين، سفيراً في عدد من عواصم أوربا الكبري، وفاوض، وعقد باسم بلاده اتفاقيات، و معاهدات جعلت المؤرخ الليبي المعاصر محمد مصطفي بازامة يقول في حقه : " لا يكاد جيل من الناس يخلو من رجال عاملين، أخلصوا لوطنهم و شعبهم الإخلاص كله، في حدود اجتهاداتهم وما كانوا يشعرون به من واجب تجاههما معاً، والحاج عبد الرحمن آغا واحد من هؤلاء الرجال الذين خدموا البلاد كسفراء، وكان لهم دور كبير في توجيه سياستها الخارجية"[4].

ومن الأسر الكراغلية العريقة القدم في السياسة الليبية أسرة (الدغيس) التي ترجع في إصولها إلي الكراغلة الأوائل الذين استقروا في طرابلس الغرب في القرن السابع عشر، وتقلد جدهم المؤسس منصب نائب الوالي العثماني، وقد تدرج آبناء هذه الأسرة في المناصب العليا بالولاية، حتى بداية عهد يوسف باشا القرمانلي حيث تقلد محمد الدغيس منصب وزيراً للخارجية الليبية، وخلفه ابن حسونة الدغيس في ذات المنصب أواخر العهد القرمانلي[5].

---

[2] كوستا نزيو برنيا، طرابلس من ١٥١٠ إلي ١٨٥٠، ترجمة : خليفة محمد التليسي، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع ة الإعلان، طرابلس، ١٩٨٥، ص ٢٨٧ – ٢٨٩ .

[3] هنريكو دي اغسطيني، سكان ليبيا، مصدر سابق، جـ ١، ص ٥٣ – ٥٤ .

[4] محمد مصطفي بازامه، الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر، منشورات قورينا للنشر و التوزيع، بنغازي، د.ت، ص ٩ .

[5] عبد الله الخباط، العلاقة السياسية بين إيالة طرابلس الغرب و انجلترا ١٧٩٥ – ١٨٣٢ م، المنشأة العامة للنشر، طرابلس ١٩٨٥، ص ١٤٣.

وأفراد أسرة بيت المال الكراغلة، ومن أبرز أبنائها محمد شلبي بيت المال الوزير الأكبر الليبي لسنوات عديدة في العهد القرمانلي[1].

وفي العهد العثماني الأخير ١٨٣٥-١٩١١، برز عدد من الشخصيات الوطنية المنحدرة من قبائل الكراغلة الليبية، في مختلف مناحي الحياة الليبية، وفي مقدمته الشيخ (محمد كامل بن مصطفي) أول مفتي ليبي يتولي وظيفة الإفتاء في ولاية طرابلس الغرب أثناء العهد العثماني، الوظيفة التي ظلت لقرون مقتصرة علي القادمين من خارج الولاية، كانت ولايته للإفتاء خلال الفترة ١٣١١ إلي ١٣١٥ هـ (١٨٩٣ — ١٨٩٧ م) جعلت المؤرخ الشيخ الطاهر الزاوي يقول فيه : " العلامة الجليل من علماء طرابلس، و أكابر مدينة الزاوية و أعيانها، ... تولي الإفتاء في طرابلس، كان فية مثال الأمانة و النزاهة . وعلية مهابة العلم ووقاره، ما بعث الهيبة في نفوس عارفيه حتى من اليهود و المسيحيين"[2]، إلي جانب ممارسته التدريس في مساجد طرابلس الغرب ووضع عدد من المؤلفات الفقهية من أشهرها كتابه الفتاوي الكمالية في الحوادث الطرابلسية[3].

أما علي الجانب العسكري فإن كثير من أبناء الكراغلة الذين أتيحت لهم الفرصة للدراسة في استانبول، و التدرج في سلك العسكرية العثمانية إلي رتب رفيعة كانوا في مقدمة صفوف المجاهدين الليبيين عند بداية عملية الغزو الاستعماري الإيطالي، وهم كثر نذكر منهم القائم مقام أحمد المنقوش المصراتي شهيد معركة الهاني بطرابلس[4]، و الضابط علي فائق أمسيك الغرياني شهيد معركة المرقب في يونيو ١٩١٢[5]، والضابط زكي امقيق الزاوي الذي أعدم وسط ميدان الشهداء بالزاوية الغربية سنة ١٩٢٢[6].

و الشخصية الأبرز التالية فهي شخصية المجاهد محمد فرحات الزاوي الذي أكمل تعليمه في فرنسا، قبل أن يرجع إلي بلاده في مطلع العشرين حيث شغل عدداً من الوظائف الإدارية، ثم انتخب عضوا في البرلمان العثماني (مجلس المبعوثان) نائباً و ممثلاً للواء طرابلس الغرب بعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ م، وعقب الاحتلال الإيطالي في أكتوبر ١٩١١ مر كان في مقدمة المجاهدين، وينسب إلية الفضل في الدعوة للجهاد و المقاومة ضد الإيطاليين[7]، إلي جانب الآثار الدينية و العمرانية التي أنجزها الكراغلة الليبيون[8]، والتي تمثل مظهراً من مظاهر امتزاج و انصهار هذة الجماعات في المجتمع الليبي في التاريخ الحديث و المعاصر .

---

[1] نفس المرجع السابق، ص ١٧٠ .

[2] الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، مرجع سابق، ص ٣٢٥ — ٣٢٦ .

[3] علي مصطفي المصراتي، أعلام من طرابلس، الدار الجماهيرية، مصراته، ط ٤، ١٩٨٦، ص ١٧٩ .

[4] مختار الهادي بن يونس، من سجل الشهداء الخالدين، تراجم، مجلة الشهيد، طرابلس، العدد الثالث، ١٩٨٢ م، ص ١٤٨ — ١٤٩ .

[5] الطاهر أحمد الزاوي، الزاوية الغربية، تحقيق : الطبيب الشريف، و العربي الشريف، كتاب مخطوط قيد الطبع، ج٢، ص ١٢٠ .

[6] عبد الكريم أبو شويرب، المجاهد فرحات الزاوي كما يصفه صحفي انجليزي، مجلة الشهيد، طرابلس، العدد الثالث، ١٩٨٢ م، ص ١٩٢ — ١٩٥ .

[7] جورج ريمون، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، ترجمة : محمد عبد الكريم الوافي، منشورات الفرجاني، طرابلس، ١٩٧٢ م، ص ١٠٧ — ١١٠ .

[8] نوري عبد الدائم أبو عيسي، زاوية عمورة، نموذج من الفني المعماري في ليبيا، منشورات المؤتمر، طرابلس، ٢٠٠٥، ص ٤٨ — ٤٩.

الخاتمة

إن العرض الاستطلاعي الموجز لمسألة الكراغلة في التاريخ الليبي الحديث و المعاصر، تعد في تقديرنا اللبنة الرئيسة في إعادة كتابة هذا التاريخ من منطلقات اجتماعية، تغلب الجانب الوطني عن التواريخ الجهوية و القبلية، وتعيد قراءة تاريخ التشكيلات الاجتماعية الليبية من خلال دورها في بناء الوطن، لاسيما الكراغلة الليبيين، بعيدا عن التأثيرات السلبية للدعوات القومية في كتابة التاريخ المحلي، التي كانت لها آثارها السلبية المدمرة علي النسيج المجتمعي للمجتمعات العربية التي تبنتها بعد الاستقلال، وحاولت من خلالها طمس الخصوصية الاجتماعية لمكونات تلك المجتمعات .

وقد حاولنا في الدراسة الانطلاق، والتحرر من زاوية الأصل العرقي البعيد أو القريب، إلي الدور الاجتماعي و الوطني للكراغلة الليبيين، الجماعات الاجتماعية التي ارتبط تشكلها ببداية التدخل العثماني في ليبيا منتصف القرن السادس عشر، التشكل التأسيسي الذي تعددت فية الآراء و الاجتهادات بين المؤرخين و المعنيين بالدراسات التاريخية، ومحاولة رصد عدد من أراء المؤرخين الليبيين في شان الكراغلة و التعليق عليها، لاسيما بعد أن تحولت مسألة الأصل العثماني (التركي) أو الأناضولي إلي قضية عند البعض، ومنبراً أساسياً للآخرين، وركزنا في هذه الدراسة علي تلمس دور و حضور الكراغلة الحيوي، والمحوري للكراغلة الليبيين في مولد الدولة الليبية الحديثة أسوة ببقية الجماعات و القبائل الليبية .

أما علاقة الكراغلة الليبيين بالسلطة العثمانية، أو القرمانلية فكانت علاقة وثيقة الصلة و التأثير سواء في جانبها السلبي أو الإيجابي، وهذا ما أتاح للكراغلة المساهمة بفاعلية في مسيرة الحدث التاريخي و الاجتماعي في العصور الحديثة و المعاصرة، وأفرز هذا الدور عدداً من أبناء هذة الجماعات الذين كان لهم الدور الأهم في التاريخ الليبي في مختلف مناحيه الثقافة، و الإدارية، و العسكرية، كما يفتح لنا هذا البحث أفاقاً رحبة لمزيد من البحث و التقصي، و إعادة قراءة مصادرنا التاريخية لإنصاف الكراغلة الليبيين تاريخياً .